خطوط التراجع غير المنتظم لنظام نميري!

التناقضات الحادة تعصف بحكم النميري..

دور السعودية الخفي في محاولة الانقلاب الفاشلة!

بقلم : محمود جواد

النميري والقسم الذي لم ينفذ

بين حين وآخر يفاجأ المواطن في السودان بقرار ((نميري)) يقضي بطرد بعض المسؤولين الكبار او اعادتهم بعد حتى حال البعض في تعليل هذه الظاهرة الفريدة من نوعها في السياسة العربية هذه الايام . ومن بين هذه القرارات ((النميرية)) ، اعادة ضابطين في الجيش (ممن سبق لهما ان شاركا في حركة مايو ١٩٦٩) الى مناصب في الدولة وهما خالد حسن عباس الذي عين مستشارا للشؤون الافريقية لدى الرئيس النميري ، ومامون عوض ابو زيد ، وعين مستشارا للشؤون العربية ، كما وعين الاثنان عضوين في المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي العربي السوداني ، واسندت لهما مناصب هامة داخل الجيش وقوات الامن !

ومعلوم ، ان خالد حسن عباس قبل طرده شغل مناصب نائب الرئيس من قبل ثلاث سنوات ، وان مامون ابو زيد شغل منصب السكرتير العام للاتحاد الاشتراكي العربي ، ومعلوم ايضا ان عملية الطرد جاءت بعد نشوب خلافات سياسية قوية بين هذين المسؤولين والنميري حول سياسته الداخلية والخارجية على حد سواء ، واذا كان طردهما في حينه مؤشرا على تمكن النميري من استبدالهما باخرين يعتمد عليهم ، فان اعادتهما في هذا الظرف الذي يمر به السودان اليوم ، هي مؤشر على عزلة الحكم الخانقة التي تضطره الى مصالحة حتى من عاداهم بالامس وتسليمهم عن مناصب هامة دفعة واحدة والاعتماد عليهم !!!

صراع الديوك داخل صفوف اليمين ؟!

كانت الاخبار التي ترددت عن اوضاع السودان قبل محاولة انقلاب ٥ ايلول الماضي الفاشلة ، تشير الى ازمة الحكم المستعصية ، وتخبطه السياسي والاقتصادي ، وتبلور الصراع بين الاحزاب اليمينية التقليدية من جهة ، وسلطة النميري من جهة اخرى، وعلى مراى هذه الاحزاب ، حزب الامة بقيادة الصادق المهدي ، الذي كان لاجئا في السعودية ، والحزب الاتحادي الديمقراطي بزعامة حسين الهندي بعد وفاة قائده الازهري) ، والاخوان المسلمون ، وبعض القوى اليمينية الاخرى ، التي تجمعت وشكلت فيما بينها جبهة معارضة هدفها اسقاط الحكم النميري ، هذه القوى رفضت بشدة الصيغة التي طرحها النميري لادماج تنظيماتها كلها داخل حزب السلطة ـ الاتحاد الاشتراكي العربي السوداني ـ هذا التنظيم الذي هو في حقيقته نسخة غير منقحة عن الاتحاد الاشتراكي المصري كاداة سياسية دعائية لا اكثر .

ويبدو من خلال هذه الاحزاب السياسية اخيرا، انها لم تغفر للنميري مواقفه السابقة لعام ١٩٧٠ ، حينما وجه ضربته الشديدة لحزب الامة وقتل زعيمه الديني الامام الهادي المهدي زعيم الحركة المهدية مع المئات من اتباعه ، ثم حظر لنشاط الاخوان المسلمون واعتقالهم ، وكذلك ضربه للحزب الاتحادي ، فكل هذه التناقضات جعلت هذه القوى تتكتل ضده وتزيد من عزلته حتى عن اليمين !

وعلى الرغم من ارتداد النميري ومحاولاته ((للتكفير عن ذنوبه)) السابقة ، بعد بدء الى تلك الاحزاب اليمينية بعد ان لطخها بدم خيرة ابناء الشعب السوداني ، عقب فشل محاولة هاشم العطا في يوليو (تموز) ١٩٧١ ، والمجازر البشعة ضد الحزب الشيوعي والقوى التقدمية والديمقراطية الاخرى ، وافساح المجال لليمين بالعمل السياسي العلني تقربا ، والتقاء الطرفين سياسيا في محاربة الافكار والقوى التقدمية ، وارتباطاتهما بالاطراف الرجعية العربية والافريقية ، وغيرها من الامور التي لم تمنع مجددا استعطاب التناقضات بينهما مرة اخرى واحتدادها ...

وللسعودية دورها !

وفي الآونة الاخيرة ، اشتد الصراع بين قوى اليمين في السلطة ، والاخرى التي خارجها ، مما حدا بالنميري الى القيام بزيارة خاطفة للسعودية ، هدفها تطويق التحرك الواسع داخل وخارج السودان الذي بداه حزب الامة المدعم سعوديا ، حيث يتخذ زعيمه الصادق المهدي من السعودية ، مقرا لحزبه وللحركة المهدية ، ومستفيدا ايضا من الطابع الديني الذي مثلته الحركة المهدية تاريخيا وعلاقتها الدينية والفلسفية الوثيقة بالحركة الوهابية التي تنتمي اليها الاسرة الحاكمة في السعودية . وحينها حاولت السعودية التوسط بين الطرفين ففشلت ، وهنا يبدو بان السعودية لعبت دورا مزعوما ، فهي احتفظت بعلاقات وثيقة جدا بالنميري ، في نفس الوقت الذي وثقت فيه علاقتها بالاحزاب اليمينية الاخرى كالحزب الاتحادي والاخوان المسلمين ، واخيرا الموقف السعودي لصالح المعارضة اليمينية التقليدية ، ويمكن تحديد اسباب ذلك في :

* ايمان السعودية ، بان حكم النميري يواجه مصاعب سياسية حادة داخل البلاد ويفتقر لقاعدة سياسية جماهيرية ، وهذا الوضع قد يمكن اليسار من العودة الى الحياة السياسية علنا !

* تنظر السعودية ، نظرة شك الى ولاء النميري التام لخطها ، خاصة بعد قيامه بزيارة ليبيا عدة مرات ، لاعادة علاقاته مع النظام الوطني الليبي ، السعودية اطلاقا !

لقد كان لموقف السعودية هذا ، اثره المرير في نفس النميري ، الذي وجد ان اماله في دعم السعودية له قد خابت ، وهذا ما اضطره للاشارة الى دورها ، بصورة غير مباشرة بعد ايام من فشل حركة ٥ ايلول حينما قال :

« لقد هزمنا الطائفية في عقر دارها ... وكانت هذه الطائفية ملسحة بمساعدات خارجية ... ! »

الجذور الطبقية للصراع

تلك هي الجذور السياسية لاشكال الصراع الجاري الآن بين قوى اليمين في السودان ، والتي جعلت النميري يتوجه كليا نحو السادات ، بعد خيبته من السعودية ، ولكن لهذا الصراع السياسي جذوره الطبقية التي تحكمه ...

فنظام النميري يمثل تلك البرجوازية الصغيرة التي استلمت مقاليد الحكم واصبحت هي البرجوازية الحاكمة ـ برجوازية الدولة الطفيلية ـ والتي تكون تقدمية الى حد ما ، في اول الامر ، لانها تحمل بذور طموحاتها ، ولصدامها مع الامبريالية واشكال هيمنتها ... الا انها تكتشف اخيرا عجزها الطبقي عن تحقيق طموحاتها للسير بالبلاد في طريق التحرر الحقيقي والاستقلال التام عن الامبريالية ، فتبدا حينها مرحلة الارتداد الى الوراء ، ويتمثل وجهها الرجعي حينها بضرب الحركة الوطنية والجماهير ، ومهادنة الامبريالية وتبعيتها بها . ان النموذج الحي والابرز لهذه البرجوازية وابعاد تطورها ، ما يمثله حكم السادات اليوم ...

وعلى الرغم من ان كافة الاطراف اليمينية سواء اكانت في السلطة او خارجها تشكل معسكرا واحدا ، الا ان ذلك لا يلغي اطلاقا التناقضات بين اطراف المعسكر الواحد ، بل واحتدامها ، والتي يمكن ان تتخذ شكلا دمويا في مرحلة من مراحل اشتدادها .. ولهذا فان الصراع القائم الآن بين طرفي اليمين في السودان ـ الطرف الاقطاعي التقليدي والطرف المسيطر على السلطة ـ هو صراع طبقي ومنطقي ايضا تحدده درجة نضوج الطرفين سياسيا وكيفية حلهما لتناقضاتهما ، خاصة وان الطرف المسيطر ـ نظام حكم النميري لا يتبع نهجا منتظما ، بل ان الطابع الغالب لسياسته هو تخبطها الشامل ...

محاولة الانقلاب الفاشلة بداية السلسلة !

ولما كانت اساليب العمل السياسي الديمقراطي باشكالها الليبرالية البسيطة معدومة ، وهي بذلك لا تجدي نفعا مع حكم عسكري دكتاتوري ، لذلك فان الظروف السياسية في السودان دفعت بهذه التناقضات بين طرفي اليمين الى طريق مسدود ، اذ لم يبق من حل لها ، الا استعمال القوة والاطاحة بسلطة النميري ، وهذا لا يمكن ان يتحقق بدون مشاركة الجيش . وهكذا جاءت محاولة الانقلاب التي قادها المقدم المظلي حسن عثمان ، ومن ورائه احزاب الجبهة اليمينية نتيجة منطقية لاتجاه الصراع وطبيعته ، فالقوى اليمينة باتت تدرك جيدا مدى عزلة النميري السياسية المتزايدة : مع عودة التحركات المسلحة في جنوب السودان ، وازدياد نشاط القوى التقدمية بين اوساط الجماهير ، مع تردي الاوضاع المعيشية للمواطنين ، فان فرصتها الذهبية في ضرب ضربتها قد حانت ، ولكن لم يحالفها النجاح ! وانا كانت هذه المحاولة قد فشلت بسبب سوء التخطيط او التنفيذ ولربما التوقيت ، فان محاولات اخرى اكثر اكتمالا ، هي في طور التجهيز الآن ، فعالمنا اليوم ملىء بتجارب الانقلابات والانقلابات المضادة ، مهما طال عمر هذا الحكم الانقلابي او ذاك ...

تأثيرات المشكلة الاريترية على الوضع السوداني

وانا كانت المشاكل التي يواجهها النميري على وشك اغراقه ، فان عاملا اخر يدخل في حساب الصراع اليوم ، هو عامل الثورة والمشكلة الاريترية التي باتت تؤثر مباشرة وبشدة في اوضاع السودان اليوم . فمن المعلوم ان السودان يقع على الحدود الشمالية لاريتريا واثيوبيا ، ولقد فرضت ظروف الحرب الاثيوبية السودانية لجوء اعداد غفيرة من الاريتريين الى جنوب السودان ، واليه امتد نشاط الثورة ايضا لايصال المؤن والذخائر وتنظيم هذه الجماهير . وبنفس الوقت ، عندما كانت مشكلة جنوب السودان مشتعلة والتي وجدتها اثيوبيا ابان حكم « هيلا سيلاسي » فرصة لاثارة المشاكل امام السودان، مقابل موقفه تجاه اريتريا ، حكام اثيوبيا الجدد بان النميري يتقاضى من نشاط الثوار الاخذ بالازدياد هذه الايام ، وان القضية الاريترية تلقى مساندة اغلب الدول العربية ، وهو ما لم يستطع النميري تجاهله ، وكرد مباشر قام حكام اثيوبيا بدعم العناصر الانفصالية في الجنوب التي انشقت اخيرا عن منظمة الانيانيا (وهذه الاخيرة قادت حركة المطالبة بالحكم الذاتي) كما واقام هؤلاء الحكام علاقات وثيقة بالاحزاب اليمينية السودانية التي اخذت تنشط في اديس ابابا وجنوب السودان ، ويبدو ان اتفاقا او ثمنا مقابلا لهذا الدعم قد تم بين حكام اثيوبيا والاحزاب اليمينية يقضي في حال استلام الاخيرة للحكم ، اغلاقها لحدودها مع اريتريا وخنق نشاط الثورة فيها ... ان كل هذه التطورات التي زادت من وضع النميري تعقيدا ، جعلته يسارع الى مراجعة سياسته حول هذه المسالة فيطرح وساطته بين حكام اثيوبيا والثورة الاريترية ملتزما بشكل عام وجهة والتقرب من العناصر الناصرية ، وهذا ما لا تقبله النظر الاثيوبية ، مما اثار استنكار الثورة الاريترية التشديد لمواقفه هذه والتي يفهم من ورائها ايضا محاولات لضرب الثورة من الخلف !

النميري ومواقفه العربية ؟

ان « السياسة الخارجية ، انعكاس للسياسة الداخلية » ، ان هذه المقولة تنطبق بصورة اوضح على سياسة النميري الداخلية والخارجية معا ، فسياسته التي تمثلت في قمع العناصر والقوى والافكار التقدمية ، وانفتاحه على القوى الرجعية المحلية ، وسماحه للرساميل الاجنبية بغزو البلاد ، وبالذات الاميركية والالمانية الغربية والايرانية ، ان هذه الردة في الداخل كان شكلها في سياسته العربية نموذجا لتلك البرجوازية التي ارتمت في احضان الرأسمال الامبريالي العالمي ، فعلى صعيد الموقف من القضية الفلسطينية كشف النميري عن نوره وموقفه المشبوة حيالها ، ففي خطابه الذي القاه في مجلس الامة السوداني بتاريخ ٧٥/١١/٣ قال :

« لن استطيع بعد اليوم ان اقول باننى لا اعترف باسرائيل ، بل يجب ان اقول انني اعترف باسرائيل القوية الكبرى »

والنميري كان الحاكم العربي الوحيد الذي ايد علنا وبحرارة خطوة السادات في توقيعه اتفاقية سيناء المشينة ، واعجابه بخطواته السياسية ...

كما وارتبط النميري بعلاقات جيدة مع الانظمة العربية الرجعية وبالذات النفطية منها ، والتي تغرق عليها مساعداتها المالية لتقوية اجهزة قمعية وانقاذ خزينة البلاد من الافلاس ...

الاستيلاء على السلطة هدف القوى الوطنية الثورية !

وانا كان حكم النميري عبر مسيرته هذه قد هادن القوى اليمينية الرجعية التقليدية ، فيما كان يقمع بشدة وبتواصل القوى الوطنية التقدمية ، وبشراسة لم يعهدها السودان من قبل حتى في ظل الاحتلال الاستعماري البريطاني له ، فانه يشير الى الحس الطبقي لسلطة النميري ، وعدائها التاريخي ، وصدامها الحدي والحاسم ، لن يكون الا مع القوى التقدمية ، وانه مهما احتدمت تناقضاته مع اطراف اليمين ، الذي هو في خارج السلطة ، فان تناقضاته مع القوى الوطنية التقدمية تظل بمستوى اعلى ...

ان القوى الوطنية في السودان تدرك جيدا بان حكم النميري ستنفذ طاقاته بسرعة ، وان استخلاصها لتجاربها النضالية الطويلة ، وبالذات بعد تجربة يوليو ١٩٧١ جعلها تدرك وتستوعب بعمق قضية اسقاط الدكتاتورية الرجعية الحاكمة واقامة السلطة الوطنية الديمقراطية في مرحلة التحرر الوطني التي يمر بها السودان ، وان هذه المرحلة لا يمكن تحقيقها دون اسلوب التغيير الثوري ، والذي لن يتم بالطبع من خلال انقلاب تقوده مجموعة من الضباط ، وانما من خلال الجماهير التي يجب تعبئتها وتنظيمها واستنهاضها وامتلاكها لكافة ادوات الثورة ...

فبدون استلام السلطة ثوريا ، سيأتي «نميري» اخر الى دفة الحكم في السودان ، وستستمر اللعبة، حتى يوضع لها حد ! ثوري حقيقي حاسم .

■■